ريمون يعزيني

قلت لفريدة في صباح اليوم التالي "كل من يسأل عني قولي له بأنني مريضة ونقلت الى المشفى.. ولا تزيدي كلمة على هذا، وحين تنتهين من توضيب البيت اتبعيني الى منزل أخي"..

ولكن حدث فعلا أن انتقلت حالتي النفسية الى التهاب كلوي حاد وارتفعت حرارتي، وأخذت البرداء تعاودني فاستدعى أخي طبيبا من المشفى، فوصف لي الطبيب الدواء والحمية والراحة وشرب الحليب بكثرة.

جلست نورا تشاهد أفلام الفيديو على التلفزيون الذي وضعه كريم قبالتي، وكان أحد الأفلام الذي شاهدته في طفولتي، وترك أثرا لا يمحى في مخيلتي، وهو "لحن الموسيقى".. كم كان للنغم والموضوع تأثير في نفسي! ويبدو أن نورا ورثت عني حب الموسيقى فهتفت:

-ماما، اشتري لي كمنجة.. أريد أن أتعلم الموسيقى!

زارني ريمون في بيت أخي وعزاني، قال لي:

-منذ عرفتك لأول مرة، رأيت فيك مثال الفتاة اللبنانية الحرة الرأي، المنفتحة الذهن، الحادة الذكاء، الصادقة المشاعر، المعتزة بذاتها، المؤمنة بوطنها، التي تحمل في وجدانها حلم آل عباد، كما عرفتهم في التاريخ، فرسانا مغاوير، صعبي المراس، لايتخلون عن مبادئهم التحريرية تحت أي تهديد أو إغراء.. كان زوجك صديقي، وأنا الذي أرسلت صورك اليه ليختارك زوجة له.. كان يعرفك حين التقى بك في المطار، ولهذا كنت دائما أشعر بالذنب لأنه لم يستطع أن يفهمك كما فهمنك، ولم يقدر صفاتك كما فعلت..

-ولكن لم فعلت ذلك؟

-بصراحة أقولها اليوم أنه لو لم يكن بيننا حاجز الدين، وزواج سابق لي لايلائمني فصمه، وفتى يربطني، لكنت اخترتك زوجة لي!

-لا تحدثني بهذا أرجوك، لا تنس أن جولييت صديقتي بل تكاد تكون أختا لي!..

-لا تخشي شيئا.. لقد صعدت ميولي منذ زمن، ولكنني أريدك أن تعرفي بأنك أثّرتي كثيرا بي، وبمواقفي السياسية حتى أنني انقلبت من كيسنجري الى واينبرغري،

-ومن موحد للزوجة الى متعدد الزوجات!

ضحكنا معا ضجكة خافتة وأردف:

-لقد صححت الأمور تجاه زوجتي الأولى، وأنا الآن طليق لأتزوج جولييـت فـي الكنيسة على الطريقة الأرثوذكسية، انها امرأة رائعة وأهلها الشيوعيون كذلك.. ان أمهـا تدير لي المطعم الشرقي الذي افتتحته في نيويورك، وأختها كلارا دخلت الكونـسرفاتوار لدراسة الموسيقى، وهي تراسل حبيبها الشاب المسلم، وتحملني رسائلها اليه كلما جئـت لبنان.. ان كلارا هي طليعة الوفاق الطائفي في لبنان.. وباعتقادي أن تقوقـع الطوائـف العديدة فيه هي بالدرجة الأولى المسؤولة عن المآسي التي حصلت فيه، وليس هناك مـن حل لهذا الاّ التزاوج فيما بينها..

-ولكن في حياتك الخاصة، فعلت عكس ذلك!

-تنازلت لأنني لا أريد أن أخسرها أو أخسر ثقة أهلها..

كانت نورا مأخوذة بفيلم الفيديو فسألتني كيف تعيده لتراه ثانية، فقام ريمون ودلّهـا كيف تفعل.. قالت فجأة وهي تستدير فجأة:

-ماما لاأريد السيارة هدية والدي.. رفاقس يغارون مني ويقولون " أنت برجوازية" ويكرهونني..كرهوا جهاد لأن لديه كاميرا يصورهم بها ولديه دراجة ينتقـل بهـا حـين يتأخر عن الوقت.. سألها ريمون:

-ماذا كنت ترغبين أن يهديك؟

-كمنجة مثل التي تحملها ماريا!

-سأهديك واحدة تكون مني ومن تانت جولييت في عيد ميلادك.. ولكنني اسـتلمت السيارة هدية والدك، وأنا لاأستطيع أن أتصرف بها أو أبيعها.. قال لي ريمون:

-نورا أنضج من عمرها.. حين سألني الأمير ماذا يشتري من أفلام الصغار قلت له "ساندريلا، وسنو وايت والأقزام السبعة، وبيتر بان قال "أمها اشترت لها اياها منذ كانـت في الرابعة".. ودرت واياه المكاتب من أجل كتب وأفـلام فيـديو مـن ضـمنها لحـن الموسيقى..

-أحداث لبنان أنضجت كل الأطفال.. لا تستطيع أن تتصور الأسئلة المحرجة التي تسألني اياها! لو تركت الصغار لعفويتهم لوجدوا جوابا مقنعا لكل مايشغل أذهان الكبـار الذين يشوهون جبلّتهم بمعلوماتهم الخاطئة..